وتحرّك التاريخ، وتقتحم معامع[761] الرأي والسلاح ولما تنتصف بها أعوام عمرها الطويل. * * * الهجرة وشغلت فاطمة عن همّها وذكرياتها وتأمّلاتها حركة الهجرة التي أعدّت لها العدّة قريش الأصنام، لتواجه ما أعدّ رسول الإسلام. فلم يغب عن أحد كيف تربّص المشركون بالنبي، وقد صار له نصير وشيعة بيثرب، ممّن هاجر وممّن أوى، اشتدّ بهم أمره، وغدت قريش منهم في خوف أن يميلوا عليها بالحرب، كُرّاراً غير فُرّار، فيقضوا عليها، ويستأصلوا دين أسلافها من الجذور. واجتمع أشراف الكفر في دار الندوة يتشاورون، تحدّث أحدهم يستنهضهم: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنّا وا لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتّبعه، فأجمعوا فيه رأياً. عندئذ انبثق رأي يقول: احبسوه في الحديد! وأغلقوا عليه باباً، ثم تربّصوا ما أصاب شباهه من الشعراء حتّى يصيبه ما أصابهم من هذا الموت! فهل يضمنون لو فعلوا ألاّ يثب أصحاب محمد فينتزعوه عنوةً من حيث وضعوه؟ ورأي راء آخر: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنّا فوا ما نبالي أين يذهب. إنّه إذاً لأولى بأن يغلب بحسن حديثه وسلامة منطقه على قلوب من يُنفى بأرضهم وعلى عقولهم، فإذا هم له تبع وأشياع!